مكتبة الهلال

١ — حضارات الهند

تأليف غوستاف لوبون — ترجمة الاستاذ عادل زعيتر — ٢٣٢ صفحة من الحجم الكبير
مطبعة عيسى البابي الحلبي

قد يرى من قال : الهند من آسيا قلبها النابض . فهي كما تبدو على الخارطة شبيهة بالقلب تسري فيها شرايين الحياة من خلال أنهرها وتبدو تجاويفها في وديانها ووهادها وخلجانها ، وتنبض فيها الحياة في مصانعها وحقولها ، وتنبت منها الفلسفات والديانات فتغزو بقية القارة الآسيوية .

فالهند شعب ، أو إن شئت الصواب خليط من شعوب ، انتظمته بلاد مترامية الأطراف عرضاً ، شاهقة الجبال علواً ، أسبغت عليها الطبيعة من صورها شتى ، ووهبتها من ضروب المناخ والمناظر ألواناً ، وأجرت فيها من الحيوان المستأنس والوحشي ما لا يكاد يقع في نطاق حصر ، وتعاورتها من الحضارات صنوف تباينت مظاهرها وأسهمت في أحداث التاريخ بقسط كبير لعراقتها ووفرة خيرها وغنى أرضها وخصب تفكير أبنائها .

هذه القارة التي تجد فيها بيداً وسهداً ، جبالاً يكلل هاماتها الثلج ، وبقاعاً يفترسها لظى الحر ، مصانع تدار بالحديث من الآلات ، وحقولاً تروى وتزرع بالفطرة والبداوة .

هذه القارة الفاتنة وجدت في الكاتب الفرنسي الكبير الدكتور غوستاف لوبون صديقاً كبيراً وعالماً هدته اليها كنوزها الأدبية والتاريخية . فعكف على العناية بدرس شؤونها الجغرافية والتاريخية والأدبية والفلسفية والدينية والأنثروبولوجية والبيولوجية والنباتية والفنية والمهارية والعلمية والخلقية دراسة محكمة الأركان ، دقيقة الجوانب ، فسيحة المجال ، لا يرائد لها إلا الصدق والأصالة والاخلاص ، فاستطاع هذا العالم الفذ أن يجمع أطراف موضوعه — طريفها وتالدها — في سفر نفيس جليل سيبقى على الدهر خالداً

ذاكراً للدكتور لوبون فضله الذي أسداه للهند وأثره الذي تزيده الأيام قدراً وسناءً.

فكتاب « حضارات الهند » كتاب جمل من الموضوعات الجغرافية والتاريخية وما يتصل بها، أدباً صرفاً يخضع لجمال الأسلوب وحسن الرواية وطرافة العرض، تقرأ منه صفحاته فلا ترى نفسك إلا وقد غدوت معجباً بالهند وأهليها، ملمًّا بحضاراتها وفلسفاتها، مفتوناً بالدكتور لوبون رجل القلم والعقل والوجدان.

وإذا كنا قد أجزلنا للدكتور لوبون ثناءً موفوراً وأطرينا عملاً جليلاً يصح أن ينعت بأنه « كتاب العمر » — وإن كان لوبون أصدر كتباً أخرى يصح أن يخلد ذكره منها ذكرى صاحبه — فإن مثل هذا الثناء ويزيداً عليه ينبغي أن يوجه الى الأديب الكبير العلامة الفلسطيني الأستاذ عادل زعيتر. فقد نبري هذا الكاتب المفكر كتاب « حضارات الهند » ومضى يترجمه معتزلاً الدنيا وأناسيها، آمراً نفسه في حجرة وحيداً واستطاع بعد جهاد طويل امتلك فيه الذهن والعينان والأعصاب والحواس بأسرها، أن ينهي هذا العمل الجبار، ويبذل شوكة الترجمة ويخضع هذا الكتاب الفرنسي لامرة اللغة العربية، ويجعل من السفر العربي نداً لقرينه الفرنسي، لا يقل عنه دقة ولا أمانة ولا إخلاصاً ولا روعة عرض ولا بياناً، فتفهم لغة الضاد بصدوره مصنفاً فريداً يشهد للأستاذ زعيتر بعبقرية في فن الترجمة ويجلو على مراس هذا الفرع المضني من فروع الأدب

وكلمة حق لا يسعني إلا أن أقولها — غير متأثر بعوامل الصداقة التي ترتبط بعادل بك زعيتر — وهي أن الأستاذ الكبير عادل بك أسدى بترجمة هذا السفر وما سبقه من سفار كثار، مآثر لا تنسى للغة الضاد، فقد غدا بها تكتبة بقضها وقضيضها تمتاز بثروتها وتعد ذخيرة ذات تفرد ما كان يمكن لفرد أن يأتيها لو لم تجتمع له عوامل التفاني العلمي والهواية المفرطة والتضحية غير المحدودة، والصبر الطويل. وحسبي أن أذكر في هذا الصدد أن « عناد » الأستاذ زعيتر — ولا أجد كلمة تعبر عن مقصدي أبلغ من كلمة « عناد » — كاد يكلفه حياته مرتين، فقد تعرض في أثناء نهوضه بترجمة هذا السفر لأزمتين في القلب في يومين متتاليين لم ينقذه منهما سوى مرحمة إلهية ومكرمة من رب الكون.

ولا أحسب أن كلمة ثناء مني — مهما سخرت في صوغها — بقادرة على أن توفي الأستاذ زعيتر بعض ما يستأهله بحق من تقدير واطراء، لأن هذا الصرح الشامخ مما ينبغي أن يلقى هذا الثناء وهذا التقدير من شعوب وأجيال لا من أفراد وآحاد.

٢ — تجديد العربية

بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون

للاستاذ اسماعيل مظهر — ٨٠ صفحة من القطع المتوسط — مكتبة النهضة المصرية

هذا كتاب في صفحات قليلة ولكنه كتاب خليق بالدرس والإمعان في المراجعة.

فالأستاذ اسماعيل مظهر يروم أن يذلل أمام اللغة العربية كلمات الأعاجم التي يتداولها رجال العلم، حتى يصبح لكل اصطلاح علمي غربي مرادف له في اللغة العربية، تكتمل له صفات: سهولة النطق وأداء المعنى من أيسر طريق وأقربه، وقلة عدد الأحرف

ويدعو الأستاذ مظهر إلى تغذية اللغة العربية بكل ما من شأنه أن يجعلها وافية بمقتضيات العلوم والفنون، قائلاً بنحت الكلمات إذا كان النحت مفيداً، وبالتعريب اذا تبين أنه أسلم سبيل، وبالاقتباس (وهذه كلمة من ابتداعه) إذا أدّى المرام، وبالتركيب المزجي إذا سلس أمامه الطريق.

وهناك من يعترضون على هذا المنهج الجديد الذي طلع به الأستاذ مظهر في كتابه «تجديد العربية» فيذهب بعضهم إلى مجافاة كل ما لم يرد في القواميس والمعجمات ونبذ كل ما لم تذكره أمهات الكتب العربية القديمة، ولكن الأستاذ مظهر يردّ عليهم بقوله ان العرب — حتى أوضعهم ثقافة وأقربهم الى الفطرة — ابتدعوا كلمات عربية بالنحت والتعريب، فكيف نبيح لهؤلاء شيئاً ونحرمه على أنفسنا في عصر تعين علينا فيه أن نواجه مطالب العلوم والفنون الحديثة، فاللغة العربية — على حدّ قوله — ملك للذين ينطقون بها ويتوددون بها أغراضهم فلا ينبغي أن نجعل حولها حرمة تمنعها بالجمود والتبلد. اللغة العربية غنية بالأصول، وقد لا تعدمها في اللغات لغة لها مثل اتساعها وشمولها، فلِمَ نضيق على أنفسنا الخناق ونلزم لوقعة الرجعية.

وقد مثل الأستاذ اسماعيل مظهر لكل طريقة جديدة من طرق تغذية اللغة بالكلمات العلمية بأمثلة كثيرة حالفه التوفيق في جلبها. وأعتقد انه إذا فرغ قريباً من اعداد المعجم العلمي الذي وقف على وضعه شطراً كبيراً من جهده ووقته وتفكيره، لكانت هذه الخدمة الأدبية العلمية من خير ما يباهي به عرب القرن العشرين.

والواقع أني حصلت من هذا الكتاب الموجز كثيراً مما كنت أفتقر إليه ولست أدري لمَ لا يتفرغ المجمع اللغوي بهذه البحوث الجليلة وهي مما يتفق مع رسالته ويطابق الهدف الذي أنشيء لتحقيقه

٣ — الجانب الالهي من التفكير الاسلامي

تأليف الدكتور محمد البهي — ٢٩٢ صفحة من الحجم المتوسط — دار احياء الكتب العربية

جميل أن نرى المكتبة الفلسفية العربية تزداد في كل يوم نمواً واتساعاً ، فقد عني المثقفون بالفلسفة يغذونها في كل يوم بزاد وفير ومحصول خصيب .

ومن الذين اشتركوا في النهضة الفلسفية الحديثة الأستاذ الدكتور محمد البهي أستاذ الفلسفة في كلية أصول الدين فأصدر كتاباً في جزأين عن « الجانب الإلهي من التفكير الاسلامي » يتضمن تحليلاً وافياً للفلسفة عند المسلمين وتأثرهم بفلسفة الاغريق واتساع افق تفكيرهم لقبول الفلسفة إلى جانب الدين بحيث لا يبين تعارض بين الاثنين ، ولا يجب أحدهما الآخر .

ومزية هذا الكتاب أنه مدوّن بقلم أستاذ قدير درس الفلسفة في المانيا وتضلع من فروعها . فأتاحت له معارفه هذه ، ومطالعاته لآراء الغربيين الذين كتبوا عن فلاسفة المسلمين ، أن يحسن الردّ على تلك الآراء إذا أنس منها مجافاة للحقيقة أو انحرافاً عن القصد .

ولست أكتم عن الدكتور البهي أني كنت أتعثر كثيراً في تلاوة كتابه هذا وما أدري أيرجع هذا إلى قصور في ثقافتي الفلسفية — وهي لاريب قاصرة — أم إلى إبهام في بعض فصول الكتاب مع جزالة ما استخدم فيه من كلمات . وللتمثيل أسرد الفقرة التالية من الكتاب :

« ووجود العالم ، إذا كان أصله الامكان ، وكان هذا الوجود طارئاً عليه وليس ذاتياً له ، معناه إذن تحقيق « ماهياته » (أنواعه) وصيرورتها « هويات » بفعل ما وجوده على سبيل الحقيقة من ذاته ، وهو واجب الوجود » (١)

فهذه العبارة — ولها شبيهات كثيرة — مؤلفة من كلمات سهلة يسيرة مفهومة . ولكن تركيبها معاً — بحسب ظني — فيه اضطراب يجعل المعنى يتبهم على القارىء ويضيع بين أطواء الاسطر .

والدكتور البهي يعالج في سفره هذا موضوعاً خاصاً ، لا عاماً ، وهو « الجانب الالهي من التفكير الاسلامي » ولكنه مع ذلك وجد متسع البحث أمامه فسيحاً يستوعب مجلدين من كتاب صفحاته تزيد على ست مئة ويمد قراءه بأن يتضمهم بمجلد ثالث يتناول موقف رجال التصوف ورجال الاعتزال والأشاعرة من علماء الكلام .

وفي الختام يخلق بنا أن نغرب عن اغتباطنا لتقدم نهضة الفلسفة في مصر تقدماً يشجع أمثال الدكتور البهي على التوفر على درسها والتأليف فيها ، ولن يمضي بإذن الله وقت طويل حتى يكون في مصر فلاسفة معاصرون ذوو مذاهب فكرية جديدة تتردّد أصداؤها في الغرب والشرق ويتجاوب ترجيعها في ربوع العالم .

وديع فلسطين

(١) ص ٢٩